

اليهود المستترون ( الدونمة ) في سالونيك في السيطرة المالية والتجارة وعلى اجهزة الدولة ... وتطور هذا الاعتقاد الى ان هذا النفوذ يستخدم لتعزيز اهداف الصهيونية . وكان جاويد وزير المالية (وهو من الدونمة) قد اثار الشكوك بانه هو ايضا « يعزز اهداف الصهيونية ، وذلك بسبب الصفقات المالية المشبوهة التي تولتها مجموعة اليهود الذين كانوا على صلة مباشرة به ... » . ومن هنا شنت المعارضة هجوما على الحكومة خلال مناقشات المبعوثان حول الميزانية ( مارس ١٩١١ ) (٣٣) . وتولى احد النواب — ولم يكن عربيا — وهو اسماعيل حثي ، نقد سياسة جاويد المالية ، واستنتج ان الحكومة تنفذ سياسة الصهيونية وتسمح لهم بمشترى الاراضي في فلسطين حتى يتوصلوا الى تاليف مملكة يهودية . ودافع الصدر الاعظم عن موقف الحكومة تجاه الصهيونية محاولا التقليل من اهمية الحركة ووصفها بانها ذات طبيعة خيالية من نتاج قلة من الدجالين . ومع ان موضوع الصهيونية ، حين طرح على المناقشة العلنية ، لم يتعرض الى اهل البلاد والخطر المباشر اللاحق بهم ، الا ان الكرمل لجأت الى توضيح امور كثيرة بعد ان بينت مناقشات المبعوثان الجهل التام بخفايا الحركة . فقام نصار بنشر سلسلة مقالات في الكرمل جمعت في اكتوبر ١٩١١ في كتيب عنوانه « الصهيونية : تاريخها — غرضها — اهميتها » . وقد عمد نصار — كي يشرح هذا الخطر — الى ترجمة مقال عن الصهيونية من الانسكلوبيديا اليهودية (٣٤) ، يستعرض فيه البدايات الاولى لنشأة الحركة الصهيونية حتى ظهور الصهيونية الحديثة التي تسعى الى تأسيس وطن حيث تسلطت الحركة على التاريخ اليهودي منذ ذلك الحين ، ويعلن بقوله « ان الحركة التي تتسلط على تاريخ امة او تشغله لا يمكن اعتبارها وهمية ، ولا يصح وصف القائمين بها بالتهوسين » . ويؤكد نصار ان العداء للاستعمار الاسرائيلي انما لانه يحمل غرضا سياسيا ، ويرد بذلك على المدافعين عن الصهيونية في صحف مصر وسوريا ، لان هذا القول ليس الا تضليلا . ويلوم نصار الذين يقولون بمنافع اليهود ويقرون بعجزها « ان لدينا الاستعداد الكافي ، وكل ما نحتاجه هو الامن والمساواة ونشر التعليم ... وقد جاء اليهود بهذا السلاح الاقتصادي الاجنبي ... جاعوا وهم يعرفون ان لدينا عقدة حب الاجنبي ، والخضوع له ، ولكن هذا لا يجب ان يدفعنا الى التقاعس او الشعور بالنقص ، حتى ولو كانوا اجانب وعلى رؤوسهم قبعات » . ويشير الكاتب الى المظاهر القومية للصهيونيين ( طواجع ، بريد ، علم خاص ) وانهم قد رفعا علمهم في القدس منذ بضعة اشهر على النادي الصهيوني لما احتفلوا بعيد بن يهودا ، وباعوا الطوابع اليهودية علنا ، وان اسعاف النشاشيبي قد ابرق له بذلك ، ونشر البرقية في الكرمل ونقلتها سائر الصحف . غير ان الحكومة « ... لم تهتم للامر كما انها لا تهتم لمنع مهاجرة اليهود الى البلاد وتحميهم فيها ... » . ولا يخفي نصار اعجابه ببرنامح الحركة الصهيونية واساليبها ووسائلها ، ولا بأس من اخذ دروس مفيدة تتعلمها من خط سيرها . وتحت عنوان « ماذا نحتاج » كتب نصار « ... مشروع صغير يتطور الى عمل عظيم ... جامعة ... قيادة ... ثبات ... الاعتماد على النفس وليس على الحكومة ... قيادة مخلصه كهرتسل ... جمعيات وشركات وجمع اموال ... والقيام بمشاريع اقتصادية ... » . ولكنه بنفس الوقت كان يخفي تخوفا كامنا « ... ونحن اذا كنا قضينا اجيالا نعاني البؤس والشقاء ... لسأدا لا نصير رجالا ونمشي في طريق الحرية ونعيش لوطننا ولا نفنسا ، فلا نستمر لعنات اجدادنا وابنائنا علينا باضاعة بلاد اشترها الاجداد بدمائهم » .

اثار قلق الدوائر الصهيونية ان تصور الصهيونية علنا انها خطر على الدولة، ورات اتباع خط اكثر تشددا في الدعاية — بنفي الاغراض السياسية للحركة والتأكيد على المصلحة «المشتركة بين الطرفين» . وساهمت المقطم في حملة التوضيح الصهيونية . كما ان المؤتمر الصهيوني العاشر في بال ( اغسطس ١٩١١ ) (٣٥) كان مناسبة علنية للتصريح رسميا بكل